تفسير آيات الرشد في قصص القرآن الكريم

هدى بنت دليجان الدليجان

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك فيصل

الأحساء - المملكة العربية السعودية

الملخص :

الرشد في قصص القرآن الكريم تضمن تسع عشرة آية كريمة. بدأت بالمقدمة ثم التمهيد لتحديد مصطلح الرشد في اللغة العربية والقرآن الكريم كما ذكر ذلك العلماء والمفسرون.

وقد تناولت تفسير الآيات موضوعيا في عدة نقاط :

أولا : تفسير آيات الرشد المتعلقة بنبينا محمد ﷺ وأمته ، ويشتمل على عدة آيات تضمنت صفات الراشدين وأفعالهم.

ثانيا : تفسير آيات الرشد في قصص الأنبياء : ويتضمن الدعوة إلى الرشد الذي كان عليه الأنبياء الكرام للاقتداء بهم كما في قصة إبراهيم ولوط وشعيب وموسى – عليهم السلام - .

ثالثا : تفسير آيات الرشد في قصص المؤمنين ، ويمكن تفسيمه إلى :

- الرشد في قصة أهل الكهف الأخيار.
- قصة مؤمن آل فرعون.
- قصة مؤمني الجن بنبوة محمد ﷺ ، وذلك لأخذ العظة والعبرة منهم .

ثم ختمت البحث بخاتمة تجمع مقاصد البحث ونتائجه

سائلة الله تعالى التوفيق والسداد وإتباع سبيل الرشاد .

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد لَهُ وليا مرشدا، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالدِّين الحق دين واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا ريبة ولا شك، يدعو إلى الحق، ويهدي إلى الحق، وقد ورد اسم "الرشيد" ضمن التسعة والتسعين اسما لله تعالى [1] ومعناه:"هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد ولا إرشاد مرشد [2]، فالله ﷻ هو الذي يرشد إلى الحق، فالرشد معنى عظيم يحمل معاني عظيمة من الهدى والبيان والرحمة والسعادة وغير ذلك، ووصف القرآن الكريم الإسلام بأنه الرشد قال تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [3] ، ومدح الراشدين في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [4] ، وذكر نماذج من الراشدين الذين عرفوا طريق الحق وآمنوا به ودلوا عليه، فكان الرشد من الألفاظ القرآنية التي تحمل الفضائل الإيمانية والمكارم الأخلاقية والصفات الإيجابية.

من أجل ذلك استعنت بالله ﷻ في اختيار موضوع آيات الرشد في القرآن الكريم للكتابة فيه بحثا يلم معانيه ويكشف عن مضامينه الرائعة، وحررته بعنوان (تفسير آيات الرشد في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية موضوعية) سائلة الله تعالى أن يهدينا من أمرنا رشدا ، وأن يجعلنا من الراشدين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- لفظ الرشد من الألفاظ القرآنية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تسع عشرة مرة ،مع اختلاف المواضع، وتباين المواقف، وتعدد الأوصاف، فكان ذلك حريا بالبحث والتدقيق في هذه المواقف وما تضمنته من مواقف متباينة وأوصاف متعددة.
- وصف الرشد من الصفات الممدوحة في القرآن الكريم، فكان من الأجدر بيانه، وتعلم مضامينه، ليتمكن الناشئة من الاتصاف به.
- لفظ الرشد جاء ذكره في مواضع متعددة من النماذج الكريمة والقصص الجميلة،فكان من الراشدين الأنبياء والصالحين، ومنهم الفتية والكبار، فكان من الرشد الاقتداء بهؤلاء الممدوحين من الراشدين.
- التأكيد على دور الأسلوب القرآني بالاهتمام بتقديم نماذج عملية من الموصوفين بالرشد، ولفت الأنظار إلى الدروس والعبر في آيات الرشد في القرآن الكريم .
- حاجة الأمة الإسلامية لهذا البيان الرشيد والتوجيه القويم لسلوك هذا السبيل المبين ليعز فيه أهل الطاعة، وتقوم الحجة فيه على أهل المعصية.

ولم أقف- حسب علمي- على دراسة تفسيرية لموضوع آيات الرشد في القرآن الكريم كبحث مستقل في التفسير الموضوعي، فأحببت المشاركة في لفت الأنظار إلى تفسير هذه الآيات القرآنية في دراسة موضوعية هادفة،والله من وراء القصد .

منهج البحث :

١. جمع الآيات التي ورد فيها لفظ الرشد في القرآن الكريم، وتوظيفها في نقاط البحث حسب ترتيبها في المصحف، للتدبر في دلالة الرشد في هذه الآيات الكريمة.
٢. روعي في جمع الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء الترتيب الزمني لهم عليهم السلام، وبدأت الكلام بجمع الآيات المتعلقة بخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ وبأمته التي فيها ذكر صفات الراشدين.

٣. خير ما يفسر به القرآن القرآن نفسه، وسبيل ذلك بجمع الآيات التي تبين المعنى، مع رعاية الاختصار وعدم التطويل في ذكر تفسير الآية التي ورد فيها لفظ الرشد، والعناية بتفسير القرآن بالسنة، وتوظيفها في تفسير مباحث هذه الدراسة، مع الاعتماد على الأحاديث الصحيحة المخرجة في الصحيحين أولا أو أحدهما ثم ما ورد في السنن والمسانيد.

٤. بيان معنى الرشد في اللغة العربية ومدلولاته الإفرادية والتركيبية في سياق الآيات والأحاديث النبوية.

٥. ذكر أقوال بعض المفسرين في الآيات، مع الإفادة من أقوال العلماء والأئمة في مظان البحث وتخريجها من مصادرها المذكورة فيها.

٦. ترجمة الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في ثنايا البحث ممن رأيت ضرورة الترجمة لهم.

خطة البحث :

المقدمة : وتتضمن

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- منهج البحث.
- خطة البحث .

التمهيد : ويتضمن

- معنى الرشد في اللغة العربية.
- معنى الرشد في القرآن الكريم.

المبحث الأول: تفسير آيات الرشد المتعلقة بصفات الراشدين

ويشتمل على عدة نقاط:

أولا : الآية الأولى: (سورة البقرة: ١٨٦).

ثانيا : الآية الثانية: (سورة البقرة: ٢٥٦).

ثالثا : الآية الثالثة: (الأعراف: ١٤٦).

رابعا : الآية الرابعة: (الكهف: ٢٤).

خامسا: الآية الخامسة: (الحجرات:٧).

سادسا : الآية السادسة: (الجن: ٢١).

المبحث الثاني : تفسير آيات الرشد في قصص الأنبياء

ويشتمل على عدة نقاط :

أولا: تفسير الرشد في قصة إبراهيم – عليه السلام- (الأنبياء:٥١).

ثانيا: تفسير الرشد في قصة لوط – عليه السلام- (هود:٧٨).

ثالثا: تفسير الرشد في قصة شعيب – عليه السلام- (هود: ٨٧).

رابعا: تفسير الرشد في قصة موسى – عليه السلام- (الكهف: ٦٦) .

المبحث الثالث: تفسير آيات الرشد في قصص المؤمنين

ويشتمل على عدة نقاط :

أولا: تفسير الرشد في قصة أهل الكهف (الكهف : ١٠) (الكهف:١٧).

ثانيا: تفسير الرشد في قصة مؤمن آل فرعون (غافر:٢٩، ٣٨) (هود:٩٧).

ثالثا: تفسير الرشد في قصة مؤمني الجن: (الجن:٢، ١٠، ١٤).

الخاتمة.

سائلة الله تعالى أن يوفقني ويهديني سواء السبيل، ويهيئ لي من أمري رشدا.

التمهيد :

أولا: معنى الرشد في اللغة العربية:

الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق [٥]، ورشد فلان: إذا أصاب وجه الأمر والطريق، ورشد يرشد رشدا هو نقيض الضلال، والرَّشد والرُّشد والرشاد :نقيض الغي، وسبيل الرشاد: أي سبيل القصد سبيل الله، والعرب يقولون : للحجر الذي يملأ الكف الرشادة، وجمعها الرشاد، وراشد ومرشد ورشيد ورشد ورشاد: أسماء، والإرشاد: الدلالة والهداية [٦]، وأرشده الله وأرشده إلى الأمر ورشّده: هداه، واسترشده : طلب منه الرشد [٧]،

وفي كلام العرب: هذا ولد رشدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضده (ولد لغير رشدة: أي ولد زنية) [٨]، وفي الحديث عن ابن عباس ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (من ادعى ولدا من غير رشدة فلا يَرِثُ ولاَ يُورَثُ) [٩].

وقال بعضهم: (الرَّشد أخص من الرُّشد ، فإن الرُّشد(بالضم) يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشد يقال في الأمور الأخروية لا غير، والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا) [١٠].

قال الإمام القرطبي: (والرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلب، من الرشادة: وهي الصخرة) [١١].

فالرشاد: يدل على معنى القوة والصلابة في الثبات على طريق الحق كالحجر الصغير في قوته وصلابته، لذا قال تعالى : ﴿ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٣٨).

فالذي أخلص إليه من معنى الرشد في اللغة العربية هو: الهداية إلى الطريق الحق مع الصلابة في ذلك.

ثانيا: معنى الرشد عند المفسرين

الرُّشد (بالضم) مصدر من قول القائل: رَشِدت (بكسر الشين وبضمها) فأنا أرْشَد رَشَدا ورَشَادا، وذلك إذا أصاب الحق والصواب [١٢]. وجاء لفظ الرشد في تفسير آيات القرآن الكريم على عدة معان:

١. الصلاح في العقل والإصلاح في المال.
٢. الهداية والصلاح في الدين.

وقال الإمام القرطبي: (وحقيقة الرَّشد والرُّشد في اللغة: أن يظفر الإنسان بما يريد، وهو ضد الخيبة) [١٣].

وعن أبي عمرو بن العلاء [١٤] قال: (إذا كان الرُّشد وسط الآية فهو مسكن، وإذا كان رأس الآية فهو محرك، قال النحاس: فهما عنده لغتان بمعنى واحد) [١٥].

أما الإمام الراغب فقد فرق في المفردات بين المعنيين المذكورين فقال: (وبين الرشدين أعني الرشد المؤنس من اليتيم، والرشد الذي أوتي إبراهيم –عليه السلام- بون بعيد) [١٦]، فالرشد الذي يؤهل اليتيم لدفع أمواله إليه لما يظهر منه حسن التصرف في الأموال وحسن تدبيره الأمور، جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ (النساء: ٦)، أما رشد إبراهيم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ (الأنبياء:٥١) فالمقصود به الاهتداء إلى توحيد الله عز وجل، وقد كان إبراهيم –عليه السلام- فتيا لم يبلغ بعد.

وهذان هما المعنيان المتعلقان بالرشد في القرآن الكريم – كما بينت سابقا- ، والمعنى الثاني يتضمن المعنى الأول، لأن المقصود من الهداية كمال العقل الذي يدعو إلى الاهتداء إلى طاعة الله، وحسن تدبير الأمور كلها، ومنها التصرف الحسن في الأموال.

من أجل هذا الذي يظهر لي أن تفسير الرشد عند المفسرين هو: الاهتداء إلى توحيد الله ﷻ وصراطه المستقيم، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وإصابة الحق، والدعوة إلى محاسن الأمور وكمالها، فمن اجتمعت له هذه الأمور فقد أوتي الرشد، والله أعلم.

المبحث الأول: تفسير آيات الرشد المتعلقة بصفات الراشدين

الآية الأولى : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦) .

أمر القرآن الكريم بصرف الدعاء لله تعالى وحده، ورتب على ذلك صحة العبادة، بل جعله هو العبادة، قال رسول الله ﷺ : "الدعاء هو العبادة"[١٧]، وجاء ذكر الدعاء والأمر به والحث عليه في مواضع عدة في القرآن الكريم ليس المقام هنا لذكرها، ومن أبرز المواضع التي ورد فيها الدعاء؛ ما ورد في سياق آيات الصيام في القرآن الكريم، ومن المعلوم أن الصيام لم يذكر في القرآن الكريم إلا في موضع واحد من سورة البقرة ، وجاءت الآيات معظمة لشأن شهر رمضان، ومبينة لما فيه من أحكام الصيام، وما فيه من الفضائل الجليلة والأوقات الفضيلة، فهو موسم للمسارعة في الخيرات، وجاء ذكر الرشد في مقام المدح لأولئك المسلمين الصائمين القائمين الذين يبتغون الرشد ويختارونه.

وقد ورد في سبب نزول الآية عدة آثار ضعيفة تتقوى بمجموع طرقها ،فعن الحسن قال : سأل أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا للنبي ﷺ : أين ربنا؟ فأنزل الله ﷻ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ [١٨].

وقيل عن قتادة قال : ذكر لنا أنه لما أنزل الله ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قال رجال: كيف ندعو يا نبي الله ؟ فأنزل الله تعالى الآية [١٩].

قال ابن كثير: (في ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر)[٢٠].

قال الطبري: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (فإنه يعني: فليستجيبوا لي بالطاعة، وليؤمنوا بي فيصدقوا على طاعتهم إياي بالثواب مني لهم، وليهتدوا بذلك من فعلهم فيرشدوا، كما قال الربيع [٢١] في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ يقول: (لعلهم يهتدون)) [٢٢].

أما معنى الأمر الوارد بالاستجابة لله تعالى في قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي ﴾ قيل: (الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا لي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة، وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى: العطاء، ومن العبد: الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي، أي : ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته : فليطيعوني، ﴿ وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ لكي يهتدوا) [٢٣].

قال الرازي: (ومعنى الآية : أنهم إذا استجابوا لي، وآمنوا بي، اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم، لأن الرشيد هو من كان كذلك) [٢٤].

فحقيقة الرشد في الدعاء أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة العبد إذا رشد في دعائه، فيعطيه سؤله،ويحقق طلبه، وإلا ادخرها لَه في الآخرة ثوابا جزيلا وأجرا وفيرا، أو كفر بها عنه من خطاياه، أو دفع عنه من السوء مثلها، وتحقيق معنى الرشد في الدعاء فيما بينه النبي ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ :"لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل؟ قيل: يا رسول الله: وما الاستعجال؟ قال: يقول: دعوت ودعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء" [٢٥].

وفيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث:إما أن يعجل لَه

دعوته، وإما أن يدخر لَه، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها، قالوا : إذن نكثر؟ قال: الله أكثر"[٢٦].

ونقل القرطبي قول سهل بن عبدالله التستري: (شروط الدعاء سبعة: أولها :التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، وأكل الحلال) [٢٧].

وهذه الشروط والأركان هي كمال الاستقامة على دين الله عز وجل بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فمن فعل ذلك فقد رشد، والمراد الهداية التامة لكل ما يصلح حال الإنسان في الدين والدنيا والآخرة.

من أجل ذلك جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي ﴾ أي : (لما أوجب استجابته سبحانه في كل ما دعا إليه، وكانت الاستجابة بالإيمان أول المراتب وأولاها، وكانت مراتب الإيمان في قوته وضعفه لا تكاد تتناهى، قال مخاطبا لمن آمن به ﴿ وَلْيُؤْمِنُواْ بِي ﴾ أي مطلق الإيمان، أو حق الإيمان، ثم علل ذلك بقوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أي: ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد، والاهتداء إلى طريق الحق،قال الحرالي: والرشد: حسن التصرف في الأمر حسا أو معنى في دين أو دنيا، ومن مقتضى هذه الآية: تتفضل جميع أحوال السالكين إلى الله سبحانه وتعالى من توبة التائب من حد بعده، إلى سلوك سبيل قربة إلى ما يؤتيه الله من وصول العبد إلى ربه) [٢٨].

فأعظم الرشد هو إصابة الحق وفعله، ولا يتيسر ذلك إلا بالدعاء الذي هو أعلى مقامات العبودية الحقة ،قال ابن القيم في تفسير الآية: (وهي تتناول نوعي الدعاء (دعاء العبادة ودعاء المسألة)، وبكل منهما فسرت الآية: قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان) [٢٩].

وقال بعض العلماء: (المراد بالدعاء :العبادة، وبالإجابة : الثواب) [٣٠].

من أجل هذا دعا النبي ﷺ للأئمة بالرشد لحاجتهم الماسة إليه في ضمان تحقيق حسن الاتصال بالله رب العالمين في أعظم مواضع الدعاء وهي الصلاة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين"(٣١).

وهذا الدعاء بالرشد للأئمة يبين - بجلاء- مقام الرشد في العبادة، لذا فتوافر الشروط المطلوبة في الدعاء، واقتضاء أسبابه،وانتفاء موانعه فيه الخير العميم والرشد العظيم.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

بان الشيء واستبان وتبين إذا ظهر ووضح،ومنه المثل:قد تبين الصبح لذي عينين،وسمي الإيضاح والتعريف بيانا لأنه يوقع الفصل والبينونة بين المقصود وغيره (٣٢).

فالدين هنا معنى عام لكل ما يدين به الإنسان أو يعتقده ، قال ابن عطية : الدين في هذه الآية:المعتقد والملة بقرينة قولِه تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (٣٣)، وقيل في الدين هنا: (يعني الطاعة، فإن ذلك لايكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص: لا يتأتى فيه الإكراه، وقيل: إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية) (٣٤).

وفي سبب نزول الآية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: "كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد، فتحلف لئن عاش لها ولد، لتهودنه، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: يارسول الله أبناؤنا! فأنزل

الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ قال سعيد بن جبير: فمن شاء دخل في الإسلام، ومن شاء لحق بهم"[٣٥].

﴿ تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ قال الطبري: (قد وضح الحق من الباطل، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه، فتميز من الضلالة والغواية، فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق، فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته لَه، فإلى ربه أمره، وهو ولي عقوبته في معاده) [٣٦].

أما الوسائل التي تعين على بيان الرشد فهي : (نصب الأدلة، ووجود الرسول الداعي إلى الله، والآيات المنيرة) [٣٧].

قال الرازي: (فكان المراد أنه حصلت البينونة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين) [٣٨].

فهذه الوسائل وغيرها لا تترك مجالا للإكراه على الحق، فالراشد من يستدل على الحق بأدلته، (فالرشد هو حسن التصرف في الأمور، والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم، والغي: هو سوء التصرف في الشيء، وإجراؤه على ما تسوء عاقبته، فصار كل ذي لب يعرف أن الإسلام خير كله، وغيره شر كله، لما تبين من الدلائل، وصار بحيث يبادر كل من أراد نفع نفسه إليه، ويخضع أجبر الجبابرة لديه، فكأنه لقوة ظهوره وغلبة نوره قد انتفى عنه الإكراه بحذافيره) [٣٩].

وهنا قد يرد سؤال مهم : وهو ما المناسبة العظيمة بين هذه الآية وآية الكرسي؟
فالجواب أن : تعقيب أعظم آية في القرآن وهي سيدة آي القرآن: آية الكرسي بهذه الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية العظيمة من دلائل الوحدانية وعظمة الخالق، وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم،من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه، أم يكرهون على الإسلام؟

فكانت الجملة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ استئنافا بيانيا وقوله ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ واقع موقع العلة لما سبق [٤٠].

فمن أجل وضوح الإسلام وقيام براهينه ودلائله على الصدق والحق، لم يكن لأحد أن يكره أحدا على الدخول فيه بعد بيانه وظهور حجته، فالراشد من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، واستمسك بعروته الوثقى من الأركان المأمور بها والواجبات المناط القيام بها، ومن أعمى قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكروها مقسورا.

لذا لم يرد خبر أو أثر عن النبي ﷺ أو من سار على سنته من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين يبين إكراه أحد على الدخول في الإسلام، وقد جاء في حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: قال النبي ﷺ في وصيته إليهم : "وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة ،فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[٤١]، ويريد بخلفائه الراشدين: أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم، وإن كان عاما في كل من سار سيرتهم من الأئمة[٤٢]، فمن تمام رشد هؤلاء الأئمة وكذا رشد من سار على نهجهم واسترشد بهم؛ أنهم لم يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام بقوة السيف بعدما ظهر نوره في الخافقين،بل وفي طاعتهم الرشد لما فيه الخير والصلاح، وفي الحديث :" فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا"[٤٣] .

فمن هذا الحديث يتبين عظمة موقف الخلفاء الراشدين، وفضيلة طاعتهم ، وكمال إتباعهم ، فيما ارشدوا إليه من الخير بعدم الإكراه والإجبار على إتباع دين الله، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

الآية الثالثة: قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٦) .

اختلف العلماء في هذه الآية بين خصوصية الخطاب لبني إسرائيل قوم موسى – عليه السلام- وبين أن يكون الخطاب عاما لأمة محمد ﷺ .

قال سفيان بن عيينة في تفسير الآية : (أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي) [٤٤]، ونقل عنه في موضع آخر قوله: (الآيات هنا كل كتاب منزل) [٤٥].

قال ابن جرير: (تأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله ﷻ وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا محمد ﷺ دون قوم موسى، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام) [٤٦].

قال ابن كثير: ليس هذا بلازم، لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا، والله أعلم [٤٧].

والذي يظهر لي : وإن كان سياق الآيات في ذكر بني إسرائيل من قوم موسى –عليه السلام- إلا أنه لا يمنع مانع من اطراد هذا الحكم على كل من تكبر عن دين الله عز وجل، واستكبر عن الإيمان بآياته المرئية والمسموعة أن يناله عقوبة تكبره وكفره في كل أمة من الأمم [٤٨]، ولا يوجد ما يدعو إلى تخصيص السياق لعمومها، والله أعلم [٤٩].

في هذه الآية ذم عظيم لصفة قبيحة وهي الكبر والاستكبار عن دين الله ﷻ، قال ابن عطية: (فالمتكبرون بغير حق في الأرض هم الكفرة) [٥٠]، فهم يرون أنهم أفضل الخلق، وإن لهم من الحق ماليس لغيرهم، وقال بعضهم: التكبر: إظهار كبر النفس

على غيرها [٥١]، فالمتكبرون يتعامون عن الحق لاستصغاره في نفوسهم، فهم لا يتبعون سبيل الرشد، وإن اتضحت لهم آياته، وقامت لهم بالحجج دلائله وبراهينه.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي (سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، الذين يتكبرون على الناس بغير حق، ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ أي: وإن يظهر لهم سبيل الرشد؛ أي طريق النجاة لا يسلكوها، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلا) [٥٢].

قال الإمام القرطبي يعني: (هؤلاء المتكبرون؛ أخبر عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد، ويتبعون سبيل الغي والضلال، أي الكفر يتخذوه دينا، ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ أي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم، ﴿ وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾: أي كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين، ويحتمل أن يكونوا غافلين عما يجازون به [٥٣].

من أجل هذا جاءت الأحاديث الكثيرة في ذم الكبر، والنهي عنه، والتحذير من مغبته، من ذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"[٥٤].

ذلك لأن الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس حقهم، فهو وإن كان قليلا في النفس إلا أنه يمنع من قبول الحق والاسترشاد به، فهو يبعد المرء عن الرشد، ويقرب المرء من سبيل الغي والباطل الذي هو ظلمات الدنيا والآخرة.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف:٢٤).

في هذه الآية فوائد جمة وأحكام مهمة لمن سلك سبيل الرشد ، فقد نزلت هذه الآية لما سأل كفار قريش النبي ﷺ عن الروح وفتية الكهف وذي القرنين، فقال النبي ﷺ: "أجيبكم عنها غدا ، ولم يقل إن شاء الله،فاحتبس الوحي خمسة عشر يوما ثم نزلت هذه الآية" (٥٥).

واعترض على هذا السبب القاضي عبدالجبار بقوله: (أولا: من البعيد أن يعد النبي ﷺ بشيء ، ولم يقل فيه إن شاء الله، الثاني: أن هذه الآية اشتملت على فوائد جمة فيبعد قصرها على هذا السبب،وأجاب الرازي عن اعتراضه بقوله : الأولى : ربما نسي النبي ﷺ قول إن شاء الله فكان ذلك من باب ترك الأولى والأفضل، والثانية: اشتمال الآية على الفوائد الكثيرة لا يمنع من أن يكون سبب نزولها ذلك) (٥٦).

ونسيان النبي ﷺ لشيء من هذا الباب لا شيء فيه البتة، ولا يقدح في نبوته وتبليغه الرسالة، وذلك لأنه أرسل إلى الناس ليهتدوا به فيما يفعلون ويتركون، من أجل هذا كان الغرض من إيراد هذه الآية الكريمة في هذا المقطع من قصة أصحاب الكهف (تأديبا من الله عز وجل لنبيه ﷺ بأن عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله،لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله) (٥٧).

قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال ابن كثير : (ويحتمل في الآية : أن يكون الله عز وجل قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى، لأن النسيان منشؤه الشيطان، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذكر الله تعالى سبب للذكر، ولهذا قال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ أي : إذا سئلت عن شيء لا تعلمه،فاسأل الله فيه،وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك) (٥٨).

والذي يظهر لي من خلال تدبر الآية في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ تنكير شيء في مقام الطلب يدل على العموم، فكأنه يقول: أي لأي شيء تريد أن تفعله، فلا يمنع مانع من ذكر الله عز وجل في جميع الأحوال، والله أعلم .

وقد جمعت هذه الآية كرامة للنبي من ثلاث جهات :

- الأولى : أنه أجاب سؤله ،فبين لهم ما سألوه إياه.
- الثانية :أنه علمه علما عظيما من أدب النبوة.
- الثالثة : أنه ما علمه ذلك إلا بعد أن أجاب سؤله استئناسا لنفسه الكريمة، وهذا هو شأن تأديب الحبيب المكرم لمحبوبه [٥٩] .

﴿ لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ فيه (إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف، ومعناه :لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على صحة أني نبي من عند الله صادق القول في ادعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل الله ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك) [٦٠].

وفي هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ أن يعزم على تدريب نفسه على إمساك الوعد ببيان ما يسأل عنه دون إذن من الله ببيانه،فأمره تعالى أن يخبر سائليه بأنه ما بعث للاشتغال بمثل تلك الأسئلة، وأن يرجو الله تعالى أن يهديه إلى ما يقربه من الرشد من ذكر أمثال هذه القصة وما فيها من المواعظ والهدى، فالهدى المطلوب من بيان الشريعة أهم وأعظم وفيه كمال الرشد، لذا جاء حرف الترجي (عسى) تأدبا مع الله ﷻ في طلب الرشد الذي هو أحد أنواع الهداية الكبرى، وعسى في جانب الله متحققة الوقوع .

يقول الطاهر بن عاشور : (وارج من الله أن يهديك فيذكرك أن لا تعد وعدا ببيان شيء دون إذن الله) [٦١]

فتظهر في هذه الآية بركة الدعاء والتقرب إلى الله عز وجل بذكره والامتثال لأمره، مما يورث الثبات على دين الله عز وجل، قال الإمام الخازن في قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾: (أي يثبتني، لأن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا، ويسأله أن يذكره ويهديه لما هو خير لَه من أن يذكر ما نسي) (٦٢).

من أجل هذا كان من صفات الراشدين كثرة ذكر الله ﷻ والتبتل إليه صباحا ومساء مع الرجاء المتين بأن يهديهم الله تعالى ويسددهم على الرشد المبين.

الآيـــة الخامـــسة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (الحجرات: ٦- ٨)

في هذه الآيات العظيمة جماع الرشد في بابه، وتمام الرشد في موضوعه، وذلك بالهداية إلى محاسن الأعمال وأحسن الأقوال ومكارم الأخلاق التي دعا إليها نبينا محمد ﷺ بقوله وفعله وخلقه وسنته.

فالتثبت في الأخبار وقبول الأقوال ومعرفة الرجال والتمييز بين الصدق والكذب والتقوى والفسق هي جماع صفات الراشدين المحسوسة والتي تنظم علاقتهم بالآخرين.

(فيأمر تعالى في هذه الآية بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط لَه، لئلا يحكم بقوله، فيكون – في نفس الأمر- كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن إتباع سبيل المفسدين) (٦٣).

فالرشد يحمل صاحبه على الصدق في الأخبار، والدقة في نقل الأقوال، أما الفاسق فخبره معرض للريبة والاختلاق لضعف الوازع الديني في نفسه، مما يجرئه على الاستخفاف بالمحظور بالكذب في شهادته أو أخباره، فيترتب على ذلك إضرار بالغير وفساد مستطير في المجتمع.

ومن أجل تعظيم صفة الراشدين المهتدين إلى الحق بالتثبت في الأخبار (جاء لفظ (فاسق) نكرة، ولفظ (نبأ) نكرة في سياق الشرط ليفيد العموم في الفساق، بأي فسق اتصفوا، وفي الأنباء كيف كانت، والتقدير: أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشافه) [٦٤].

(وقرأ الجمهور (فتبينوا) من التبين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) [٦٥] من التثبت، والتبين: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت هو تحري الصدق).

فالقراءتان متعاضدتان، وفي ذلك دلالة على أهمية الأمر في الآية والتأكيد عليه، فالقراءة مع القراءة بمنزلة الآية مع الآية، فلكل دلالته في فهم آيات الكتاب الكريم.

ثم استئنفت الآيات بالتفاتة عظيمة وهو الأمر بطاعة أمر الرسول حيا وميتا باتباع سنته، ولو كانت هذه الأحكام غير موافقة لرغباتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾.

قال أبو جعفر: (أي لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم، ويقبل منكم ما تقولون لَه فيطيعكم ﴿ لَعَنِتُّمۡ ﴾ أي: لنالكم عنت، يعني: الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم، لأنه كان سيخطئ في أفعاله) [٦٦] أي بخطئكم.

لكن الاستدراك الجميل بقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ فهذه الطاعة التامة والتسليم المطلق من متبعي أمر رسول الله ﷺ وحكمه؛ فيه دلالة عظيمة على حسن الإيمان وكمال الرشد ، قال القرطبي: (هذا خطاب للمؤمنين المخلصين، الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم، (وزينه) بتوفيقه، (في قلوبكم) أي :حسنه إليكم حتى اخترتموه، وفي هذا رد على القدرية والإمامية وغيرهم، فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وأفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم لا شريك لَه) [٦٧].

ثم قال تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ (أي : بغض إليكم الكفر والفسوق: وهي الذنوب الكبار، والعصيان: جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة) [٦٨]، وذلك بالترقي في مدارج الخشية والإجلال لله وتوقيره بالترفع عن المعاصي حتى اللمم فضلا عن الكبائر إكراما وإعظاما لقدر الله وحبا للإيمان.

قال أبو جعفر: (الفاسق: هو الكاذب في كتاب الله كله، فالمنافقون سماهم الله أجمعين في القرآن الكاذبين) [٦٩].

فالكفر والفسوق والعصيان بركوب ما نهى الله تعالى عنه في خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ ومجانبة سنته، ومخالفته بالعصيان، بتضييع أمر رسول الله ﷺ فالرشد يدفع صاحبه للتعلق بحكم الله ورسوله و تقديم محبته على رغباته وهواه، فالخبر في قوله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ إلى: ﴿ ٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ مستعمل في الإلهاب وتحريك الهمم لمراعاة محبة الإيمان وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، وفي هذا إشارة إلى أن الاندفاع إلى تحصيل المرغوب من الهوى دون تمييز بين ما يرضي الله وما لا يرضيه أثر من آثار الجاهلية، ومن آثار الكفر والفسوق والعصيان)[٧٠].

وفي حكمة اجتماع الأوصاف الثلاثة الكفر والفسوق والعصيان قال الخازن: (وفي هذه لطيفة، وهو أن الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الأشياء في مقابلة الإيمان الكامل المزين في القلب المحبب إليه، والإيمان الكامل : ما اجتمع فيه ثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، فقوله: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ في مقابلة قوله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ وهو التصديق بالجنان، والفسوق هو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان، فكره إلى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود، وحبب إليه الإقرار بشهادة الحق والصدق وهو: أن لا إله إلا الله، والعصيان : في مقابلة العمل بالأركان، فكره إليه العصيان، وحبب إليه العمل الصالح بالأركان)[٧١].

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾: (والرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلب، من الرشادة: وهي الصخرة) [٧٢].

أي أولئك الذين امتدحهم الله تعالى بالتثبت في الأخبار وطاعة الرسول في الأحكام، فأحبوا الإيمان وتزينت به قلوبهم، وكرهوا أي عمل أو أمر من أعمال الكفر أو الفسق أو العصيان لأمر الله ورسوله، فحققوا كمال الرشد في أقوالهم وأعمالهم بالاستقامة على طريق الحق، فلا يلتفتون عنه، (وأفاد ضمير الفصل (هم) القصر، وهو قصر إفراد ،إشارة إلى أن بينهم فريقا ليسوا براشدين، وهم الذين تلبسوا بالفسق حين تلبسهم به، فإن أقلعوا عنه التحقوا بالراشدين) [٧٣].

ثم ختم الله تعالى هذا المقطع من الآيات بقوله : ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: هذا الرشد الكامل والهداية التامة إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: هداكم إلى الرشد فضلا منه، ﴿ وَنِعْمَةً ﴾ تامة سابغة عليكم،

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بكم وبما في قلوبكم، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أمره بما تقتضيه الحكمة بما ينزل من الخير بقدر حاجتكم إليه.

وفي هذا الختام دلالة على أن الرشد من فضل الله تعالى وحده، وأن لا يقدر عليه إلا من وفقه الله تعالى إليه بتحقيق أسبابه ومنابعه من حب الإيمان وتزيينه في القلوب، وبانتفاء موانعه بكراهية أي أمر يتعلق بالوقوع في الكفر أو مقاربة الفسق أو الإتيان بالمعاصي والتلبس بها، وإن من واجبات الراشدين الاعتراف بهذه النعمة وشكر موليها على هذا الفضل العظيم الذي اختارهم الله تعالى إليه بعلمه وحكمته، لذا كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين"[٧٤].

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجن : ١٨- ٢١).

في سياق سورة الجن نزلت هذه الآيات الكريمة، وفيها إخبار واضح وبيان جلي عن أهمية التوحيد، ونقض الاعتقادات الجاهلية، ومحاربة الوثنية، ووجوب صرف العبادة لله ﷻ وحده لاشريك لَهُ الذي بيده الخير كله والنفع والضر والرشد والضلال، وتجريد الجن من المقدرة على النفع والضر التي كان يعتقدها مشركو العرب فيهم، فإذا كان نبي الله وعبده وصفوته من خلقه لا يملك الضر ولا النفع ولا الرشد ولا الضلال، فالجن من باب أولى.

فالحكمة في نزول هذه الآيات هو إعلان الإخلاص في عبادة الله عز وجل، وتجريد القلب من كل ما يشوبه من صرف العبادة لغير الله عز وجل، خاصة إذا كان من عادة المشركين التجمع عند أصنامهم للاستغاثة بهم والتقرب إليهم والاستعانة بالجن

والشياطين ليحققوا مصالحهم، ويكشفوا أستار الغيب لهم من الكهانة والعرافة واستراق السمع وغير ذلك .

فمن أجل هذا جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال قتادة: (تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه، ويظهره على من ناوأه) وهذا هو اختيار ابن جرير في تفسير الآية [٧٥].

فالآية استأنفت توجيه الخطاب إلى نبينا محمد ﷺ بعد أن استعرضت موقف الجن عند سماع القرآن الكريم، قال ابن عاشور: (هذا استئناف ابتدائي، وهو انتقال من ذكر ما أوحي به إلى النبي ﷺ إلى توجيه خطاب مستأنف إليه) [٧٦].

فالآية الكريمة توجه الخطاب إلى النبي ﷺ بالأمر بالمفاصلة العقدية الواضحة بين التعبد لغير الله ﷻ وتجريد العبادة لله العلي العظيم وحده، لكي لا يظن ظان إن مقام النبوة فيه شيء من الألوهية التي تملك الضر والنفع والهداية والضلال.

قال ابن كثير: (أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل) [٧٧].

وفي الإتيان بلفظ النكرة (ضرا) (رشدا) دلالة على العموم سواء كان ذلك الضر هو الضلال، والرشد هو : الهداية ، أو معنى الضر: العذاب الأليم، والرشد :الخير العميم والنعيم المقيم [٧٨].

وبلاغة هذه الآية عظيمة في دلالتها على الإخلاص في التوحيد ،فأفاد المذكور المحذوف،ذلك لأنه (في الكلام احتباك، لأن الضر يقابله النفع، والرشد يقابله الضلال،فتقدير الآية :لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، ولا ضلالا ولا رشدا) [٧٩].

فمن الرشد الواضح ترك الاعتقادات الجاهلية وتوجيه القلوب للذي يملك الضر والنفع والرشد والضلال، ويستعين على ذلك بالدعاء والتقرب للواحد الأحد لتكون أفعال المرء وتصرفاته ومقاصده دلالة على رشده لينضم في سلك الراشدين.

المبحث الثاني: تفسير آيات الرشد في قصص الأنبياء

أولا : تفسير الرشد في قصة إبراهيم - عليه السلام-

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٥١) .

اصطفى الله الواحد الأحد إبراهيم عليه السلام خليلا لَه وكليما ،وقد علم الله تعالى ما عند إبراهيم عليه السلام من الأحوال البديعة والأسرار العجيبة والصفات العظيمة مما أهله ليكون خليلا لله تعالى العلي العظيم.

وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة سر اصطفاء إبراهيم عليه السلام خليلا بأن الله تعالى آتاه الرشد، وقد اختلف العلماء في معنى الرشد الذي أوتي إبراهيم عليه السلام على قولين هما:

١. النبوة، واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ وحجتهم في ذلك (لأنه تعالى إنما يختص بالنبوة من يعلم من حاله أنه في المستقبل يقوم بحقها، ويجتنب ما لا يليق بها، ويحترز عما ينفر قومه من القبول.

٢. الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء:٦]) (٨٠).

وعلى القول الأول بأن معنى النبوة: الرشد يأتي إشكال بسبب قوله تعالى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ : ففي ذلك دليل على أن الله آتى إبراهيم النبوة قبل البلوغ وهو فتى، بدليل حادثة الاستدلال بالكواكب، وهذا القول لم يقل به أحد من العلماء المعتبرين في إتيان النبوة قبل البلوغ ، فدل على أن القول الثاني هو أقرب القولين للصحة .

أما تعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ ففيها عدة معان اختلف في ذكرها المفسرون على عدة معان:

القول الأول : بعد أن ذكر الله تعالى في سياق هذه السورة الكريمة قصة موسى عليه السلام، جاء ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ،فبين أن الله تعالى آتاه الرشد قبل موسى عليه السلام والمقصود به السباق الزمني،فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء جميعا.

القول الثاني: إن المقصود أن الله تعالى آتى إبراهيم عليه السلام الهداية وكمال العقل والاستدلال الصحيح بدليل حادثة الكواكب التي استدل بها إبراهيم عليه السلام على التوحيد الحق لله رب العالمين.

القول الثالث:إن الله تعالى آتى إبراهيم عليه السلام رشده حين كان في صلب آدم عليه السلام حين أخذ الله ميثاق النبيين[٨١].

والقول الأخير بعيد ،فلا يسلم به لقائله، أما القولان الأوليان فيتعلق بهما قوله ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ ، فليس بينهما تعارض،وفي هذه الآية الكريمة إشارة لطيفة و توضيح جلي لدور الراشدين في الإعلان عن حقيقة التوحيد والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقيم حياته على الاجتهاد في تعبيد الناس لله رب العالمين، ومحاربة الموروثات الجاهلية، والتقليد الأعمى، والوقوف في وجه الباطل برسوخ وثبات، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ

جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٥٢- ٦٠].

وهذا هو سبيل الراشدين مثلما قام بهذا الدور إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، فتكفل الله بحمايته ورعايته ونجاه من كيد القوم الظالمين، وأعزه الله ورفع درجاته بأن اتخذه خليلا، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، وخسر الكافرون خسرانا مبينا، وذلكم سبيل الرشد لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا.

ثانيا: الرشد في قصة لوط -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود :٧٧- ٧٨].

جاء في تتابع الآيات في سورة هود ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وحصول البشارة له من الملائكة الكرام بإنجاب ولد حليم وهو إسحاق -عليه السلام- فلما استغرب إبراهيم -عليه السلام- من ذلك الجمع من الملائكة حضورهم، استخبر عن شأنهم، فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وقيل: كان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ.

قال ابن إسحاق: (لما جاءت الرسل (من الملائكة) لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه، قيل: - والله اعلم- إن أمرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم، وقالت: إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قط منهم، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين، فلما جاءوه: ﴿ قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحجر:٧٠]. أي: ألم نقل لك: لا يقربنك

أحد، فإنا لن نجد أحدا إلا فعلنا به الفاحشة،﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ فأنا أفدى ضيفي منكم بهن، ولم يدعهم إلاَّ إلى الحلال من النكاح) [٨٢].

ففي هذه الآيات يصور القرآن الكريم موقف لوط –عليه السلام- مع قومه الذين طغوا وشذوا وانحرفوا في ارتكاب الفاحشة وممارستها مع الرجال شهوة من دون النساء في النوادي والتجمعات الرجالية، فقال تعالى : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ قال أهل اللغة: (الإهراع: الإسراع مع رعدة، وقيل:هو مشي بين الهرولة والعدو، والمعنى:أن قوم لوط لما بلغهم مجيء الملائكة في تلك الصورة أسرعوا إليه،كأنما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه) [٨٣]،وفي ذلك دليل على انتكاسة الفطرة، وانحراف المزاج، وشذوذ الطباع .

فالرشد في هذه القصة يحث على النهي عن ارتكاب هذه الفاحشة ،لذا قال لوط عليه السلام منبها أولئك القوم المفسدين ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ قال ابن كثير: (أليس منكم رجل فيه خير ،يقبل ما آمره به، ويترك ما أنهاه عنه) [٨٤].

فالرشد الذي دعا إليه لوط –عليه السلام- قومه بالنهي عن ارتكاب الفواحش، وقبول أمره بعدم التعرض لضيوفه الكرام، واستبدال المنكر بالمباح، وهو زواج النساء الأمر الفطري الشرعي، وإكرام الضيف كواجب إنساني.

وفي معنى ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ في رشيد قولان: (الأول: بمعنى (مُرشِد) أي: يقول الحق، ويرد هؤلاء الأوباش عن أضيافي، والثاني: رشيد بمعنى مرشَد، والمعنى:أليس فيكم رجل أرشده الله تعالى إلى الصلاح، وأسعده بالسداد والرشاد حتى يمنع هذا العمل القبيح، والأول أولى) [٨٥].

فصورة الرشد الذي يريده لوط –عليه السلام- من قومه هو الرشد التام الذي يدعو إلى الأفعال الجميلة والأخلاق الحسنة والطهارة الحسية والمعنوية، ولو كان ذلك عند رجل واحد من أولئك القوم، فعسى الله أن يظهر قوله ويمنع عن ضيوفه تلك الفاحشة المنكرة، وفي هذه الآية إشارة بليغة لرشد لوط عليه السلام وأفعاله الرشيدة من إنكار تلك الأفعال المشينة القذرة والفاحشة المقيتة المنتنة، لكن كانت صورة ذلك الفعل القبيح الذي يمارسه أولئك القوم صورة قاتمة المعالم، أسكرتهم فأعمتهم عن رؤية بصيص من الرشد، من أجل هذا أظلمت عليهم الأمور فلم يعودوا يروا إلا الباطل الذي يحبونه شهوة، ويهرعون إليه بسرعة، فكان جزاؤهم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴾ [هود:٨٢- ٨٣]، وهذا جزاء من يتنكب طريق الرشاد والسداد ويسلك طريق الغواية والفساد.

ثالثا : الرشد في قصة شعيب – عليه السلام-

قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[هود:٨٧]

يتوالى ذكر الرشد في قصص الأنبياء في سورة هود، ولا غرو أن تكون هذه السورة كما ذكر ابن عباس ﷺ عن نبينا ﷺ قال فيها "شيبتني هود وأخواتها"(٨٦).

فبعد أن دعا لوط عليه السلام قومه إلى معرفة طريق الرشد، ذكر الله تعالى في هذه الآية قصة شعيب مع قومه .

وفي هذه القصة دلائل بليغة ومعان عظيمة ودعوة جليلة ألا وهي الدعوة إلى تأدية الأمانة في تجريد العقيدة الصحيحة و الإحسان في المعاملة بالعدل في المكاييل

والموازين، وهو ما يمكن أن يفهم منه رسم صورة كاملة للإصلاح في العبادات والمعاملات بارتباط إصلاح التوحيد بإصلاح المعاملات المالية والاجتماعية ،وهذه هي الصورة المتكاملة للرشد .

ومع أهمية التحلي بالأمانة والدعوة إليها في كل الكتب السماوية(٨٨)، إلا أن البشر ينحرفون عن تأدية الأمانة فيخونون الأمانة، وأكبر صور الخيانة وأبشعها الإشراك مع الله عز وجل غيره ممن لا يستحق العبادة، ويليها خيانة الناس بعضهم بعض في معاملاتهم، التي رسمها الشرع الحكيم، وطهرها من أدناس المصالح الشخصية والأهواء المريضة، وهاتان الصورتان تظهران –بوضوح– في دعوة شعيب قومه.

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود:٨٤- ٨٦] ،فدعا شعيب قومه إلى صورة من صور الرشد العظيم الذي أمر الله تعالى به الناس ، وهو توحيد الله عز وجل، و النهي عن التطفيف في المكاييل والموازين، وأمر بإيفاء العدل في المعاملات، ونهى عن الإفساد في الأرض بقطع الطريق أو غيره من صور الفساد، ليتحقق لهم الرشد، ولينضم القوم إلى سبيل الراشدين.

فرد قومه عليه بقولهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود:٨٧] .

فأنكر القوم عليه دعوته لهم للإصلاح، وأحالوا سبب مخالفته لهم صلاته التي كان يواظب عليها واشتهر بها، والأمران اللذان أنكروا على شعيب نهيه عنهما هما :

الأول: نهيه لهم عن تقليد آبائهم في عبادة الأوثان، وهي صورة الشرك الصريح ، والثاني:ترك البخس في الأموال من قطع الدراهم [٨٨].

ثم قالوا له: استهزاء به وسخرية ﴿ إِنَّكَ لأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ ، قال ابن زيد: (المستهزءون يستهزءون بأنك لأنت الحليم الرشيد) [٨٩].

واختار ابن كثير في تفسير الآية هذا القول، واحتج بأنه: (قول ابن عباس، وميمون بن مهران، وابن جريج، وابن أسلم، وابن جرير، وأنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، قبحهم الله ولعنهم عن رحمته، وقد فعل) [٩٠]، فتكون الآية على سبيل التهكم، وهذا الأسلوب التهكمي ورد مثله في حق أبي جهل قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ الدخان:٤٩].

قال الرازي: في الآية عدة وجوه (الوجه الأول: قولهم هذا على أن يكون المعنى لأنت السفيه الجاهل، إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية به.

الوجه الثاني : أن المراد إنك موصوف عند نفسك وقومك بالحلم والرشد .

الوجه الثالث : أنه عليه السلام كان مشهورا بالحلم والرشد، فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم قالوا لَهُ: إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب، فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا، والمقصود :استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفا بالحلم والرشد ،وهذا الوجه أصوب) [٩١].

وأكد القرطبي اختيار القول: بأنه على الحقيقة واستدل على ذلك: (أولا: بدليل ما قبله،فيدل على صحته، أي : إنك أنت الحليم الرشيد حقا، فكيف تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، ويدل عليه ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ فأنكروا عليه لما رأوه من كثرة صلاته وعبادته، وأنه حليم رشيد بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم، وبعده أيضا يدل عليه ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى

﴿ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [هود :٨٨] أي : أفلا أنهاكم عن الضلال؟ وهذا كله يدل على أنهم قالوه على وجه الحقيقة) (٩٢).

أما عن وجه ارتباط الاسمين الجليلين ﴿ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ وذلك لأنهما يتضمنان صفة الحلم التي هي كمال العقل، والرشد كمال الهداية في حسن تدبير المال، وقد وجه السيوطي وجه ارتباط الاسمين ﴿ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ بأنه من باب التمكين الذي هو نوع من أنواع بديع القرآن فقال: (التمكين هو:أن تأتي الفاصلة القرآنية متمكنة في مكانها ،مستقرة في قرارها،مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا بمعناها الكلام تعلقا تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم ،ثم قال:ومن أمثلة ذلك ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ ﴾ الآية،فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة،وتلاه ذكر التصرف في الأموال،اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب،لأن الحلم يناسب العبادات،والرشد يناسب الأموال) (٩٣).

فلما لم يوافق شعيب قومه بما كانوا عليه من العبادة الوثنية والعادة الجائرة، اتهموه في صلاته وعقله، وهذا يبين أن طريق الرشد فيه من الدعوة إلى التكامل بالإصلاح العقدي والمالي والاجتماعي، وأن الراشدين يثبتون على الحق، ولو عارضهم أهلهم وعشيرتهم، واتهموهم في دينهم أو عقلهم، وهذا هو دأب الكافرين المنحرفين عن الرشد المعاندين مع دعوة الحق ودعاته، لذا يجب على من سلك سبيل الرشد التحلي بالحلم والصبر على المخالفين، لأن في ذلك النجاة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وأن يستعمل في هدايتهم الأساليب الممكنة من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

لذا كان كل من لم يسلك أفعال الرشد وموازينه العادلة من الظالمين، الذين تجاوزوا الحد في الضلال، فخسروا الدنيا و الآخرة بدليل عقوبة قوم شعيب،

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود :٩٤- ٩٥]

رابعا :الرشد في قصة موسى – عليه السلام-

قال تعالى ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف:٦٦].

تعد قصة موسى –عليه السلام- من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، وقد جاءت مفصلة في مواضع لحكمة عظيمة، وجاءت مجملة في مواضع أخرى لغاية جليلة، وفي هذا الموضع من سورة الكهف وردت قصة موسى في محور جديد لم يتطرق إليه القرآن سابقا، وهي قصة موسى – عليه السلام- مع الخضر –عليه السلام[٩٤]، وقد جاءت مفصلة لمكانها وأحداثها بيانا للنبي الأمين،وموعظة للمسلمين، وإرشادا لطالبي العلم المتبعين.

وقد أطنب المفسرون في ذكر تفسير القصة والاختلاف فيها ودلائلها مما يغني عن إعادته في هذا البحث، ويكفيني –في هذا المقام- الإشارة إلى الرشد الذي هو العلم الهادي إلى الحق،والدليل على الهدى، الذي جاء ذكره في ثنايا القصة عند قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف:٦٥- ٦٦].

﴿ رُشْدًا ﴾ أي :علما ذا رشد ، وهو يحتمل وجهين: (أن يكون الرشد راجعا إلى الخضر عليه السلام أي مما علمك الله وأرشدك به، والثاني: أن يرجع ذلك إلى موسى، ويكون المعنى: على أن تعلمني وترشدني مما علمت) [٩٥].

والأظهر لي أنه يحتمل الأمران فكانت قصتهما إنموذجا رفيعا من الرشد في طلب العلم سواء كان عالما أم متعلما، قال ابن عطية: (كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم) [٩٦].

ومع ذلك المقام الرفيع من النبوة والرسالة واصطفاء الله تعالى لموسى –عليه السلام- بسماع كلامه ليس بينه وبين الله حجاب، الذي هو كمال العلم الظاهر، إلا أن موسى –عليه السلام- كان إنموذجا رفيعا للراشدين في طلبه العلم ومحاولة تلقيه من الخضر –عليه السلام- بما أظهره من الصفات الحميدة اللائقة بطالب الرشد، ومنها ما ذكرته الآيات:

- **التلطف في السؤال:** قال تعالى : ﴿ **قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ** ﴾ فهو سؤال تلطف، وليس بإلزام أو إجبار، قال القرطبي: (هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب) [٩٧]، قال ابن كثير: (وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم) [٩٨].
- **حسن التواضع بطلب المتابعة:** وهي المرافقة والمصاحبة، قال تعالى ﴿ **هَلۡ أَتَّبِعُكَ** ﴾، فموسى عليه السلام أراد متابعة الخضر عليه السلام ليزداد علما نافعا مما علم الله الخضر –عليه السلام- ، وفي هذا الموضع لا يخفى أن ما سأله موسى تعلمه من العلم الذي عند الخضر مما لا يتعلق بالتشريع لأمة بني إسرائيل ، لأن موسى –عليه السلام- مستغن في علم التشريع عن الازدياد إلا مما أوحى الله تعالى فيه من الأخبار والأحكام، (وإنما رام موسى أن يعلم شيئا من العلم الذي خص الله به الخضر، لأن الازدياد من العلوم النافعة هو من الخير، وقد قال الله تعالى تعليما لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن**

﴿ يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤]، وهذا العلم الذي أوتيه الخضر هو علم سياسة خاصة غير عامة، تتعلق بمعينين: لجلب مصلحة، أو دفع مفسدة، بحسب ما تهيئه الحوادث والأكوان، لا بحسب ما يناسب المصلحة العامة، فلعل الله يسره لنفع معينين من عنده، كما جعل محمد ﷺ رحمة عامة لكافة الناس، ومن هنا فارق سياسة التشريع العامة) [٩٩]، لذا جاء قوله تعالى ﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ ﴾ بصيغة التبعيض :أي جزء من أجزاء علمك النافع الذي علمك الله إياه.

- **التعظيم لأهل العلم وتوقيرهم:** فموسى –عليه السلام- خصه الله تعالى بالمناصب الرفيعة والدرجات العالية العظيمة والمعجزات الباهرة، إلا إنه يطلب من الخضر عليه السلام التعلم منه، قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ ﴾، قال الرازي: (وذلك يدل كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة، وهذا هو اللائق به، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشد)[١٠٠].
- **التسليم وترك المنازعة والاعتراض:** وهذه فائدة عظيمة لطالبي العلم الراشدين الذين يريدون التبحر في العلوم النافعة، فعليهم ترك المنازعة والاعتراض بالقيل والقال، حتى يكشف لهم سر الحقائق الغائبة عنهم، أما إذا اشتغل طالب العلم بالمنازعات والاعتراضات وإثبات الحجج، غفل عن كثير من أسرار الأشياء والوصول إلى الحقائق، فضلا عن حصول النفرة بين الأستاذ والطالب، لذا قال الخضر عليه السلام تنبيها لطالب العلم المسترشد، وتحذيرا منه لموسى –عليه السلام- ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف:٦٧- ٧٠]، تغليظا على

المتعلم ليحبس نفسه على تعلم ما يفيده، وإرشادا لَه على أهمية الصبر في طلب العلم.

قال الطاهر بن عاشور: (وأكد جملة ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ بحرف (إن) وحرف (لن) تحقيقا لمضمونها، من توقع ضيق ذرع موسى عن قبول ما يبديه إليه، لأنه علم أنه تصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف) [١٠١]، ثم ألان لَه القول، والتمس لَه العذر، لما رآه من هيئة التواضع اللائقة بمقام النبوة والرسالة، ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ فصيغة (كيف) للاستفهام الإنكاري في معنى النفي، أي: وأنت لا تصبر على مالم تتمكن من الإحاطة بحقيقته وخبره، فأخبر موسى عن نفسه الاستعداد للاستسلام بالاستعانة بالله لتحقيق الصبر المنشود، لتكتمل المتابعة اللازمة للتعلم، فقال ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ ، وذلك أبلغ في ثبوت الصبر من نحو قوله: سأصبر، لأنه يدل على حصول صبر ظاهر لمتبوعه، وذلك الصبر متعلق بالضجر في المتابعة ،ومشاهدة مالا يتحمله إدراكه، وتأكيد ذلك بالاستعانة بالله ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ حرصا على التأدب مع الله، والثقة بأن مع متبوعه علما آتاه الله، ثم أعقب ذلك الاستسلام بإعلان الطاعة المطلقة ﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ لأنه لما كان المطلوب من المتعلم الصبر الكامل،فإن ذلك يقتضي طاعة الآمر فيما يأمره به، وعدم عصيانه فيما يبديه من الأقوال والأفعال ، إبلاغا في الاتسام بأكمل أحوال طالب العلم [١٠٢].

من أجل هذا عندما اعترض موسى على الخضر في المواقف الثلاثة (خرق السفينة- قتل الغلام- بناء الجدار) لم يستعجل موسى الخضر في تفسير أفعاله، وأن كان استعجل في إنكار تلك الأفعال، فلما ذكره الخضر بما اشترطه عليه سابقا،

استسلم للأمر، وأذعن لذلك الفعل، حتى اختار الخضر الوقت المناسب لإخباره، وكشف غامض أفعاله، فكانت أفعالهما رشدا كاملا للعالم والمتعلم.

من أجل هذا الرشد الكامل الذي ظهر من موسى عليه السلام في طلبه للعلم اللدني الذي يعلمه الخضر عليه السلام، فسر الخضر عليه السلام لَه حقيقة تلك الأفعال التي أنكرها، ورفع الله شأن موسى عليه السلام بتعلم مالم يكن يعلمه سابقا، وهذا هو حال طالب العلم المسترشد بأوامر الله الرامية إلى الحق والخير للناس جميعا.

المبحث الثالث: تفسير آيات الرشد في قصص المؤمنين

أولا : تفسير الرشد في قصة أهل الكهف

قال تعالى ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف:١٠] .

اختلف أهل العلم في السبب الداعي إلى اختيار أولئك الفتية اللبث في الكهف، وقد رجح بعضهم أن زمن هؤلاء الفتية قبل مولد المسيح –عليه السلام- وقيل:كانوا يدينون بالنصرانية[١٠٣]، والذي عليه الاتفاق أنهم كانوا مسلمين موحدين لله تعالى، خرجوا فارين بدينهم من ملك لقريتهم كان يعبد الأوثان، ودعاهم إلى ذلك، ففروا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن الحق الذي آمنوا به، أو يقتلهم على ذلك، فاستخفوا في الكهف على ما قص الله تعالى خبرهم في سورة في القرآن الكريم، سميت بالكهف دلالة على تلك الآية العظيمة والمعجزة الباهرة التي تحققت لأولئك الفتية الراشدين في ذلك الكهف.

وقد كان أول دعائهم لله عز وجل وهم فارون بدينهم أن يهيء لهم من أمرهم رشدا، قال ابن جرير: (قالوا: يسر لنا بما نبتغي، وما نلتمس من رضاك، والهرب من

الكفر بك، ومن عبادة الأوثان التي يدعونا إليها قومنا ﴿ رَشَدًا ﴾ يقول: سدادا إلى العمل بالذي تحب) [١٠٤].

وقال ابن كثير : يخبر الله تعالى عن أولئك الفتية، الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منه فلجؤوا إلى غار في جبل، ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ أي : هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا، ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾: أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشدا، أي:اجعل عاقبتنا رشدا) [١٠٥].

وفي المسند من حديث بسر بن أبي أرطأة ﷺ [١٠٦] عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو:" اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة"[١٠٧].

فمن أجل الخوف على دينهم وإعلانهم العبودية الحقة لله وحده لا شريك لَه،ونبذ ما يعبد قومهم من دونه، سأل الفتية ربهم رحمة خاصة وافرة، تحقق لهم الأمن على إيمانهم من الفتنة،ولئلا يلاقوا من قومهم مشقة وألما، وأن لا يهينهم أعداء الدين، فيصيروا فتنة للقوم الكافرين، ثم سألوا الله تعالى أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما يخولهم من الثبات على الدين الحق، والنجاة من مناوأة المشركين، وإعانتهم على إعداد أسباب حصول الرشد الكامل الذي فسره ابن عاشور بقوله: (والأمر هنا: الشأن والحال الذي يكونون فيه، وهو مجموع الإيمان والاعتصام إلى محل العزلة عن أهل الشرك، وقد أعد الله لهم من الأحوال ما به رشدهم، فمن ذلك صرف أعدائهم عن تتبعهم، وأن ألهمهم موضع الكهف، وأن كان وضعه على جهة صالحة ببقاء أجسامهم سليمة، وأن أنامهم نوما طويلا ليمضي عليهم الزمن الذي تتغير فيه أحوال

المدينة، وحصل رشدهم إذ ثبتوا على الدين الحق، وشاهدوه منصورا متبعا، وجعلهم آية للناس على صدق الدين، وعلى قدرة الله على البعث) [١٠٨].

وفي هذه القصة تتضح أهمية الدعاء كسلاح إيماني في جمع قوى الإنسان وطاقاته لأمر الرشد الذي يحقق لَه الإيمان الكامل، فالفتية سألوا الله تعالى مستيقنين الإجابة وهذا مثال واضح وشاهد عين على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقـــــرة:١٨٦]، فارتباط تحقيق الرشد بالدعاء يوضح منزلة الدعاء في النجاة وتحقيق مطالب السعادة في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس ﷺ : (كانوا في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله ويستغيثونه، ويتعوذون من الفتنة) [١٠٩]، وهذا هو حال الراشدين الذين أرشدهم الله تعالى لأمره والثبات على دينه.

و قال ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ :(وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية، ويحتمل ذكر الرحمة أن يراد بها أمر الآخرة) [١١٠].

فضلا أن هذه الآية صريحة في أهمية اتخاذ الأسباب المنجية من الفتنة لكي يتحقق الرشد بسلامة الدين وصحة العبادة، ويكون ذلك –أحيانا- بالفرار بالنفس، وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوفا من الوقوع في الفتنة، وما يلقاه الإنسان من المحنة.

قال العلماء: الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت، والأخبار في ذلك كثيرة [١١١].

بل إن النبي ﷺ خرج فارا بدينه مهاجرا إلى المدينة، وجلس في الغار، وكذلك أصحابه هجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من الفتن، وهذه سنة الله مع الأنبياء المصطفين والأولياء الصالحين التي تحقق لهم الرشد ، والثبات على الدين، مع إخلاص الدعاء، واتخاذ الأسباب الكفيلة بتهيئة الكمال والسداد في القول والعمل الذي هو الرشد بتمامه.

وأوضح الإمام الغزالي قوة الاحتجاج بهذه الآية على مشروعية العزلة عن الكفار إذا عجز المسلم عن معايشة قومه لما يخاف على دينه من الفتن فقال، :(وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون، وإنما اعتزلوا الكفار، أي - ولا ريب- في مشروعيته فرارا من الفتن) [١١٢].

ثم ذكر القرآن الكريم أخبار أولئك الفتية وما كان من أمرهم الذي استجاب الله فيه دعائهم بالرشد بحصول الآية العظيمة والمعجزة الخارقة ،قال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف:١٧]، فهذه المعجزة البينة والآية الخارقة لسنة النوم البشري بأن هيأ لهم ذلك الكهف بالضرب على آذانهم، بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ميلا نحو اليمين إذا هي طلعت، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال، مع كونهم في متسع من المكان، بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم، ولا تبلى ثيابهم، ولا تتعفن أجسادهم[١١٣]، وهذا من دلائل قدرته وعنايته بأوليائه ومؤيدي دين الحق، فقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ فاستعمال ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ للإشارة لتعظيم أمر الفتية وما أراد الله بهم من الرحمة والرشد والرفق بهم.

قال ابن جرير: (فمن يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه، فهو المهتدي، يقول:فهو الذي أصاب سبيل الحق، ﴿ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ يقول: ومن أضله الله عن آياته وأدلته، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد، ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ يقول: فلن تجد لَه يامحمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل، يوفق من يشاء من عباده، ويخذل من أراد، يقول: فلا يحزنك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فآمنوا، وبيدي الهداية والضلال) [١١٤].

وفي قصة أهل الكهف عبرة للمعتبرين وتوجيها للمسترشدين لنهج منهج الرشد الذي سلكه أولئك الفتية المؤمنون للثبات على دينهم، قال ابن كثير في تفسيره: (حيث أرشدهم الله تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم لتبقي أبدانهم، ثم قال ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ أي: هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي لَهُ) [١١٥].

فالمرشد هو : (الذي يبين للحيران وجه الرشد، وهو إصابة المطلوب من الخير) [١١٦]، والولاية هي : النصرة [١١٧]،فإذا اجتمعت (وليا مرشدا) فهو الخير العظيم، والنصر المبين، والهداية الكاملة، والنفع التام، والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثانيا- تفسير الرشد في قصة مؤمن آل فرعون

قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ

ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٨].

تبدأ هذه الآية الكريمة بالتعريف بذلك الرجل المؤمن من آل فرعون وتوضيح حاله وموقفه مع المكذبين من آل فرعون وجنوده، ومحاجته لهم في أحقية الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام من عند ربه لما جاء به من صدق البينات وخوارق العادات، وهو موقف المهتدي الواثق من إيمانه إلا أنه يكتم ذلك الإيمان رغبة في إيمان قومه، وقد استعمل في ذلك أسلوب المناصحة بالمداراة والإنصاف في أمر موسى وما معه من الدلائل البينات، ليكون أقرب إلى تسليمهم، وقبول أمره طواعية، ولم يستعمل الجدال والشطط في القول في إثبات دعوى صحة نبوة موسى، وهذا هو الأسلوب الرشيد الواجب اتباعه مع المخالفين في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتيسير على المدعو، وليس الإلزام أو الشطط، فإن قبل الحجة، وآمن بالمحجة، فذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن أضل عن ذلك فإن الله لا يهدي من هو مسرف في الطغيان متجاوز الحدود في تكذيب الحق وعدم الإذعان له [١١٨].

وفي ذلك الموقف من المحاجة والمناصحة بين ذلك الرجل المؤمن الدال على الخير من آل فرعون، قال تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٩]، فتظهر صورة فرعون المتغطرس بملكه والمتعالي عن الحق بقوله : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾

وفي مقابلة ذلك الرشاد المزعوم؛ جاء في سياق الآيات الكريمة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٣٨] فالمقابلة بين سبيل الرشاد

الذي يدعيه فرعون وسبيل الرشاد الذي أخبر عنه ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون، وشتان مابين السبيلين.

ففرعون كذب في دعوى ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ فقد كذب على قومه الذين أطاعوه في دعواه لقلة عقولهم، وذلك لأنه يعلم صدق موسى وما جاء به من الآيات البينات الدالة على نبوته وما جاء به من عند الله، فأخبر الله تعالى عنه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ [النمل:١٤]،فغش قومه وخانهم ،ثم افترى الفرية العظيمة بقوله ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ .

قال ابن كثير في تفسيره: (أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب أيضا في ذلك، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه) [١١٩]،فأخبر الله تعالى عنهم ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴾ [هود :٩٧].

ففي هذه الآية وصف لحال أولئك المتبعين الذين آثروا إتباع أمر فرعون وما فيه من الغي والضلال والسفه والجهل (فاتبعوه وسلموا لَه دعواه، وتتابعوا على طاعته، والأمر الرشيد: الذي فيه رشد، أي: وما في أمره رشد، إنما هو غي صريح، وضلال ظاهر مكشوف، وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم، لا من يضلهم ويغويهم، وفيه أنهم عاينوا الآيات البينات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن إتباعه إلى إتباع من ليس في أمره رشد قط ﴿ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴾ أي: وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [هود :٩٨] تفسيرا لذلك وإيضاحا، أي: كيف يرشد أمر من هذه عاقبته؟) [١٢٠].

ثم ذيل الآية الكريمة ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨] وهذه هي الخاتمة السوء التي دعا فرعون قومه إليها، وهذا سبيل الرشاد الذي اتبعوه، فبئس التابع والمتبوع.

وقد بين الله تعالى تفصيلا حال آل فرعون بإغراقهم في اليم في الدنيا، وما ينزل بهم من العذاب بعد موتهم بقوله تعالى ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥- ٤٦].

ثم أوضح ذلك الرجل المؤمن دلائل سبيل الرشاد الحق والصراط المستقيم بعدة دلائل ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [الآيات من ٣٠- ٤٤].

من أجل هذا يتبين أن سبيل الرشاد لَه من الدلائل البينات والبراهين الساطعات فيهتدي إليه من في قلبه ذرة من إيمان، ومن كان فيه مسكة من عقل، فالراشدون من يستعملون الحكمة في الدعوة إلى الله، ويبينون بالدليل الساطع صدق دعوتهم، ويقومون بتفنيد دعاوي خصومهم بدون جدال لجج أو كبر مقيت، فيهتدي أصحاب الفطر السليمة إلى سبيل الرشادكما اهتدى ذلك الرجل الصالح من آل فرعون، ففاز

بالسعادة والنجاة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، قال تعالى ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾.

ثالثا : تفسير الرشد في قصة مؤمني الجن

نزلت سورة الجن لتفيض بالمعاني العظيمة في عالمية رسالة الإسلام إلى الجن والإنس كافة، ولتجمع المعاني العظيمة للرشد في حياة المؤمنين سواء كان إنسا أم جنا، ولا أبالغ أن تكون هذه السورة سورة الرشد لكثرة ورود هذه اللفظ العظيم، مع الإشارة إلى آفاقه الواسعه لدى الجن من قوة البصيرة وكمال الإدراك لما فيه الخير، ولفخامة التساؤلات التي تكفلت أفعال أولئك الراشدين من مؤمني الجن الإجابة عنها.

قال تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن:١- ٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم،فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حيل بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث؟ قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق النفر الذين توجهوا إلى تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا لَه، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال : فهناك رجعوا إلى قومهم، فقالوا : ياقومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ

﴿ أَحَدًا ﴾ قال : فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن)[١٢١] .

فالجن عندما سمعوا تلك الآيات القلائل التي خاطبت صفاء نفوسهم ونقاء فطرتهم وبشاشة قلوبهم؛ آمنوا وأيقنوا أن هذا الكلام المتلو يهدي إلى الحق وسبيل الصواب، وأنه يخالف ما كانوا عليه من الأمور الوثنية واستراق السمع لأخبار السماء، وقذفها في قلوب الكهنة والعرافين ليكشفوا أستار الغيب العظيم، فتابوا وأنابوا، واهتدوا إلى أفعال الراشدين.

وقد كان سبب إيمان الجن بالقرآن واهتداؤهم إلى سبيل الرشد هو الإشارة الغريبة بامتلاء السماء بالحرس الشديد وقذف الشهب، الأمر الذي منع أولئك الجن من استراق السمع، فبدأوا البحث عن حقيقة الأمر، وفي ذلك يذكر الله مقالتهم :﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ٨- ١٠] وفي ذكر هذه الآية العظيمة ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ نص على أن الجن لا تعلم الغيب بأي حال من الأحوال، ولو كانت تعلم الغيب لاستيقنوا من الخبر.

وفي ورود هذه الآية يبدو إشكال، حيث قالوا أولا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ ثم يقولون ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ، وذلك بسبب التقديم والتأخير، فهم ابتدءوا أمرهم بالتساؤل عن سبب تغير أمر السماء عليهم، وتشديد الحراسة فيها، فلما بحثوا عن السبب، وسمعوا صوت الرسول ﷺ بالقرآن آمنوا وصدقوا [١٢٢]، من أجل هذا قال ابن كثير عن التساؤل في الآية

الكريمة: (وهذا من أدبهم في العبارة، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل) (١٢٣).

وعلى هذا فالرشد المراد بالآية هو الإيمان والمراد بالشر: الكفر، قال القرطبي: (قال الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي ﷺ، أي لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد ﷺ إليهم، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه، كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا) (١٢٤).

ثم قال تعالى ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤] ففي هذه الآية يخبر الجن عن أنفسهم كيفية موقفهم من هذا الوحي المنزل من عند الله والمبعوث إلى محمد ﷺ لهداية الإنس والجن، أي: (وأنا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنا من أسلم، ومنا من كفر، والقاسط الجائر، لأنه عادل عن الحق، والمقسط: العادل لأنه عادل إلى الحق، يقال:قسط: أي جار،وأقسط: إذا عدل، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ أي قصدوا طريق الحق، وتوخوه، ومنه تحري القبلة) (١٢٥).

فالمسلمون من الجن الذين خضعوا لله بالطاعة والانقياد، فأولئك اهتدوا إلى الرشد في دينهم، بتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، أما الذين جاروا وعدلوا عن طريق الحق والهداية وكفروا بالوحي من أولئك الجن ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن:١٥] توقد بهم، بسبب كفرهم وابتعادهم عن الهدى وسبيل الرشاد(١٢٦).

(وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين،مسلمين وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعةالجن، واستعدادهم للخير والشر كالإنسان، إلا من تمحض للشر منهم، وهو إبليس وقبيله)(١٢٧).

وفي تعاقب الآيات الكريمة في هذه السورة العظيمة بيان جلي عن تفاوت المستوى الإدراكي للجن، وأن منهم السفهاء الذين كانوا يتقولون على الله، ومنهم الزعماء الذين كانوا يترأسون أمرهم، ويقودون شأنهم، وكذا اختلافهم في الاستعداد للرشد، ومجانبة الكفر والضلال، وكذا أن الجن مؤهلون للتكاليف الشرعية والجزاء عليها فمن أسلم فله الخير كله، ومن جار عن الحق فله في جهنم عذابا أليما، وفي سياق هذه الآيات الكريمة وما فيها من العظات والعبر تتضمن درسا لأولئك المعاندين من قريش ومن تبعهم الذين كانوا ينسبون القرآن الكريم إلى قول كاهن أو ساحر وكله من تأثيرات الجن، وهاهم الجن أولاء يعلنون الإيمان والاهتداء بهدي القرآن ويسترشدون به، وينضمون إلى قافلة الراشدين.

الخاتمة :

لقد يسر الله تعالى الكريم الجليل في هذا البحث التعرف على سبيل الرشد بما تضمن من الأفعال الجميلة والمعاني العظيمة في قصص القرآن الكريم، فأحببت أن أختم هذا البحث بعدة نتائج أهمها:

أولا: مفهوم الرشد :هو هداية الإنس والجن إلى توحيد الله عز وجل، والثبات على دينه بقوة، وتجريد الإخلاص في عبادة الله تعالى عن كل ما يشوبها من شوائب الجاهلية الذي هو سبيل الضلال والغواية.

ثانيا: من سمات الراشدين في أمة مجمد ﷺ الثبات في المداومة على العبادات الفاضلة، والاستقامة على مكارم الأخلاق الرفيعة مثل:

١. دعاء الله تعالى بتحري أوقات الإجابة، والقيام بأسبابها وانتفاء موانعها، وأفضل دعاء الراشدين الصائمون قربة لله عز وجل .
٢. الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة،وعدم الإكراه في الدين، لوضوح سبيل الرشد فمن آمن به فقد اهتدى ومن ضل عنه فقد غوى، فلا ينفعه الإكراه والإجبار.
٣. محاربة الكبر، لورود النهي عن الكبر، والذم للمتكبرين في الأرض، لأنه يصرفهم عن الرشد ، والإيمان بآيات الله البينات، ويقربهم من الغي، والارتكاس في الظلمات.
٤. وجوب كثرة ذكر الله عز وجل في جميع الأحوال، والتقرب إليه بالطاعات، لما يترتب على ذلك الرشد من الهداية الإلهية والجزاء العظيم في الدنيا والآخرة.
٥. التثبت في الأخبار والدقة في نقل الأقوال، من جماع أفعال الراشدين الهادية إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، وهذا من فضل الله تعالى وتوفيقه للراشدين المؤمنين.

ثالثا: صور الرشد في قصص الأنبياء تحمل دلالات عظيمة، وتتضمن الدعوة إلى نهج منهج الأنبياء في الصبر على المكاره وتحمل المشاق في القيام بتكاليف سبيل الرشد .

رابعا: وسائل المؤمنين في الدعوة إلى سبيل الرشاد- من خلال القصص القرآني- تكون بالتعرف على هذا الرشد، والاعتصام بدين الله عز وجل، والثبات عليه، ورجاء ما عند الله من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

خامسا: منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى إتباع سبيل الرشاد بأسلوب بليغ يحبب النفوس إلى الإيجابية الخيرة في امتثال أفعال الرشد، فيا حبذا تقريب المعاني القرآنية إلى الأجيال الناشئة ليسلكوا سبيل الرشاد على هدى وبصيرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي :

١. جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة))أخرجه البخاري،كتاب التوحيد،باب(١٢)إن لله مائة اسم إلا واحدا،ح(٧٣٩٢)، ومسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب(٢)في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح (٢٦٧٧)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب(٨٢)، ح(٣٥٠٦)، وباب(٨٣) وذكر الحديث بسرد الأسماء وفيه اسم الله(الرشيد) قبل الاسم الأخير، ح(٣٥٠٧) وقال عنه: "هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ،ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ،وهو ثقة عند أهل الحديث،وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة،عن النبي ‘ ،ولا نعلم في كبير شيء من الروايات لَه إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث"،و قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٢١٦/١١)"لم يقع في طرق الحديث سرد الأسماء إلا في رواية الوليد بن مسلم عند الترمذي،وفي رواية زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عند ابن ماجة،وهذان الطريقان فيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء والزيادة والنقص،ثم قال:وأقرب الطرق إلى الصحة رواية الوليد عن شعيب،وعليها عول غالب من شرح الأسماء الحسنى،وفي سياقها في بعض الروايات "الرشيد" وقيل "الراشد"، وقال الألباني:حديث ضعيف انظر: جامع الترمذي، تحقيق الألباني،ص٥٥٢.

٢. الغزالي،أبو حامد محمد بن محمد ،المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى،ص٩٥.

٣. [البقرة:٢٥٦] .

٤. [الحجرات:٧] .

٥. ابن فارس،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة،(٤٦٧/١).

٦. الخليل بن أحمد ،كتاب العين، ص٣٥٠.

٧. ابن منظور، لسان العرب، (٢١٩/٥).

٨. ابن الأثير:مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر،(٢٢٥/٢).

٩. أخرجه أبو داود في السنن،كتاب الطلاق،باب(٣٠)في ادعاء ولد الزنا،ح(٢٢٦٤)،وقال عنه الألباني: ضعيف، انظر:ضعيف سنن أبي داود، ص١٧٧، وإن كان معناه صحيحا، انظر: ح(٢٢٦٥).

١٠. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن،ص٢٠٢.

١١. انظر:تفسير القرطبي،(٢٦٧/١٦)،والشوكاني،علي بن محمد،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (٨١/٥) .

١٢. الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٤/٣)،وابن عطية، أبو محمد عبدالحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(٣٩١/٢).

١٣. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،(٢٥١/٧) .

١٤. أبو عمرو زبّان بن العلاء بن عمار المازني البصري،أحد القراء السبعة، إمام البصرة ومقرئها،كان عالما بالقرآن والعربية مع الصدق والأمانة والدين،توفي سنة ١٥٤هـ،انظر:ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد،النشر في القراءات العشر،(١٠٩/١).

١٥. تفسير القرطبي،(٢٥٠/٧)(بتصرف)، و انظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم،(١٧١/٢).

١٦. الأصفهاني، المفردات، ص٢٠٢.

١٧. أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة البقرة، ح (٢٩٦٩)، وقال عنه الألباني: حديث(صحيح) .

١٨. أخرجه الطبري في تفسيره،(١٩٠/٢)، وابن حجر في العجاب في بيان الأسباب،(٤٣٣/١)،قال أحمد شاكر: الإسناد صحيح إلى الحسن، ولكن الحديث ضعيف، لأنه مرسل، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة، وقال السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، في لباب النقول في أسباب النزول،ص٣٣: مرسل وله طرق أخرى.

١٩. أخرجه الطبري في تفسيره،(١٩١/٢) .

٢٠. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ، تفسير القرآن العظيم ،(٥٠٩/١).

٢١. الربيع بن أنس البكري،ويقال:الحنفي، البصري ثم الخراساني،قال عنه العجلي:بصري صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات،توفي سنة١٣٩هـ أو سنة ١٤٠هـ،انظر:العسقلاني،أحمد بن علي بن حجر،تهذيب التهذيب(٥٨٩/١) .

٢٢. تفسير الطبري،(١٩٢/٢) ٠.

٢٣. البغوي، الحسين بن مسعود،معالم التنزيل ،(٢٠٥/١).

٢٤. الرازي،فخر الدين محمد بن عمر التميمي، التفسير الكبير، (٨٧/٥).

٢٥. أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل..، ح (٢٧٣٥) (٩٢).

٢٦. أخرجه الإمام أحمد في المسند(١٨/٣)، وقال عنه محققو الموسوعة/مسند الإمام أحمد (٢١٤/١٧):إسناده جيد، وصححه الحاكم،أبو عبدالله، المستدرك،(٤٩٣/١) ووافقه الذهبي.

٢٧. تفسير القرطبي،(٣٠٧/٢).

٢٨. البقاعي ، إبراهيم بن عمر،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٣٤٩/١) .

٢٩. السيد محمد، يسري ،بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية،(جمع وتوتيق)،(٣٨٥/١) .

٣٠. الشنقيطي،محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن،(٩٤/١) .

٣١. أخرجه الترمذي،كتاب الصلاة ،باب(٣٩)ماجاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن،ح(٢٠٧)،وقال الألباني: حديث(صحيح).

٣٢. تفسير الرازي،(١٤/٧) .

٣٣. تفسير ابن عطية،(٣٨٨/٢).

٣٤. المفردات للأصفهاني،ص١٨١.

٣٥. أخرجه البيهقي في السنن(١٨٦/٩) والنحاس في الناسخ والمنسوخ،ص٨٢،وتفسير الطبري،(٢٢/٣)،والواحدي في اسباب النزول،ص٦٩،وابن حجر في العجاب في بيان الأسباب،(٦١٠/١) قلت:والروايات تختلف في ألفاظها وتتوافق في دلالاتها.

٣٦. تفسير الطبري،(٢٤/٣).

٣٧. تفسير ابن عطية، (٣٩١/٢).

٣٨. تفسير الرازي، (١٤/٧) .

٣٩. تفسير البقاعي،(٥٠٠/١) .

٤٠. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٦/٣)(بتصرف).

٤١. أخرجه الترمذي في جامعه،كتاب العلم ،باب(١٦)ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ح(٢٦٧٦)،قال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح، وقال عنه الألباني: حديث صحيح.

٤٢. ابن الأثير،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،النهاية في غريب الحديث والأثر،(٢٢٥/٢).

٤٣. أخرجه مسلم ،كتاب المساجد،باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ح (٣١١) (٦٨١)، والسيد محمد،بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، (٤١٤/١) .

٤٤. تفسير الطبري، (٧٣/٩).
٤٥. تفسير ابن عطية، (٧٨/٦).
٤٦. تفسير الطبري، (٧٤/٩).
٤٧. تفسير ابن كثير، (٤٧٥/٣) .
٤٨. لذا رأيت وضع هذه الآية في ثنايا هذا المبحث، وبالله التوفيق.
٤٩. انظر:قاعدة:الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه، السبت، خالد بن عثمان (د)،قواعد التفسير، (٥٩٩/٢) .
٥٠. تفسير ابن عطية، (٧٨/٦) .
٥١. تفسير الرازي، (٤/١٥)(بتصرف) .
٥٢. تفسير ابن كثير، (٤٧٥/٣) (بتصرف).
٥٣. تفسير القرطبي، (٢٥٠/٧) .
٥٤. أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان، باب (٣٩)تحريم الكبر وبيانه، ح(١٤٧)(٩١) .
٥٥. انظر: تفسير الطبري، (٢٦٤/١٥)، وتفسير ابن كثير(١٤٨/٥) .
٥٦. تفسير الرازي، (٩٢/٢١)(بتصرف).
٥٧. تفسير الطبري، (٢٦٤/١٥) .
٥٨. تفسير ابن كثير، (١٥٠/٥) .
٥٩. انظر: تفسير الطاهر بن عاشور، (٢٩٦/١٥).
٦٠. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف،ص٦١٧، وتفسير الرازي، (٩٥/٢١) .
٦١. تفسير ابن عاشور، (٢٩٩/١٥) .
٦٢. تفسير الخازن، (١٦١/٣) .
٦٣. تفسير ابن كثير، (٣٧٠/٧) .
٦٤. تفسير ابن عاشور، (٢٣٣/٢٦)(بتصرف) .
٦٥. انظر: ابن الجزري،أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، (٢٨١/٢) .
٦٦. تفسير الطبري، (١٤٤/٢٦) .
٦٧. تفسير القرطبي، (٢٦٧/١٦) .

٦٨. تفسير ابن كثير، (٣٧٢/٧) .

٦٩. تفسير الطبري، (١٤٦/٢٦) .

٧٠. تفسير ابن عاشور، (٢٣٧/٢٦)(بتصرف) .

٧١. تفسير الخازن، (١٧٨/٤) .

٧٢. انظر:تفسير القرطبي، ٢٦٧/١٦)، والشوكاني، علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (٨١/٥) .

٧٣. تفسير ابن عاشور، (٢٣٧/٢٦) .

٧٤. أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٤٢٤/٣)، وقال عنه محققو الموسوعة/مسند الإمام أحمد(٢٤٧/٢٤): رجاله ثقات .

٧٥. تفسير الطبري، (١٤١/٢٩)، وانظر: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسيرأبي السعود، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، (٤٦/٥) .

٧٦. تفسير ابن عاشور، (٢٤٣/٢٩) .

٧٧. تفسير ابن كثير، (٢٤٥/٨) .

٧٨. انظر:تفسير البغوي، (٢٤٣/٨) .

٧٩. تفسير ابن عاشور، (٢٤٥/٢٩) .

٨٠. تفسير الرازي، (١٥٥/٢٢) .

٨١. انظر: تفسير الطبري، (٤٦/١٧) ، وتفسير الرازي، (١٥٦/٢٢) .

٨٢. تفسير الطبري، (١٠٢/١٢) .

٨٣. الشوكاني، فتح القدير، (٧١٤/٢)(بتصرف) .

٨٤. تفسير ابن كثير، (٣٣٧/٤) .

٨٥. تفسير الرازي، (٢٨/١٧) .

٨٦. أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب(٥٦)سورة الواقعة، ح(٣٢٩٧)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه عن ابن عباس، وقال الألباني: حديث صحيح.

٨٧. الحسين، عبداللطيف بن إبراهيم، الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع، ،ص ٢٤، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية- كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٨٨. انظر: تفسير الطبري، (١٢٢/١٢)، وتفسير الرازي، (٣٦/١٨) .

٨٩. تفسير الطبري، (١٢٤/١٢) .

٩٠. تفسير ابن كثير، (٣٤٤/٤) .

٩١. تفسير الرازي، (٣٦/١٨) .

٩٢. تفسير القرطبي، (٧٦/٩) (بتصرف) .

٩٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، (٣٠٢/٣)(بتصرف).

٩٤. انظر القصة بتمامها في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(١٨)سورة الكهف، ح(٤٧٢٥).

٩٥. تفسير الرازي، (١٢٨/٢١) .

٩٦. تفسير ابن عطية، (٣٥٧/٩) .

٩٧. تفسير القرطبي، (١٨/١١) .

٩٨. تفسير ابن كثير، (١٨١/٥) .

٩٩. تفسير ابن عاشور، (٣٧١/١٥) .

١٠٠. تفسير الرازي، (١٢٩/٢١) .

١٠١. تفسير ابن عاشور، (٣٧١/١٥) .

١٠٢. انظر: تفسير الرازي، (١٣٠/٢١)، و تفسير ابن عاشور، (٣٧٣/٥) .

١٠٣. انظر: فسير الطبري، (٢٢٩/١٥)، تفسير ابن عطية، ٢٤٠/٩)، تفسير القرطبي، (٣١٢/١٠)، تفسير ابن عاشور، (٢٦٥/١٥) ورجح: أن يكون الفتية على دين موسى –عليه السلام- بدليل حفظ اليهود لحادثتهم واعتزازهم بها وسؤال النبي ﷺ عنها بعد مبعثه ليختبروا صدق نبوته، والله أعلم .

١٠٤. تفسير الطبري، (٢٣١/١٥) .

١٠٥. تفسير ابن كثير، (١٣٩/٥) .

١٠٦. بسر بن أرطأة أو ابن أبي أرطأة، واسم أبيه: عمير بن عويمر بن عمران القرشي العامري، يكنى أبا عبدالرحمن، واختلف في صحبته، توفي سنة٨٦هـ، انظر: العسقلاني، الإصابة، (١٥٣/١) .

١٠٧. أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٨١/٤، قال محققو الموسوعة/المسند(١٧١/٢٩)(رجاله موثقون غير واحد) .

١٠٨. تفسير ابن عاشور، (٢٦٦/١٥- ٢٦٧) .

١٠٩. تفسير الطبري، (٢٣٢/١٥) .

١١٠. تفسير ابن عطية، (٢٤٥/٩) .

١١١. تفسير القرطبي، (٣١٥/١٠) .

١١٢. انظر: الغزالي،أبو حامحد محمد بن محمد، كتاب آداب العزلة في إحياء علوم الدين، (٣٢١/٢- ٣٤٨) ففيه تفصيل جيد لأقوال العلماء في العزلة وأدلتهم على مشروعيتها ، فوائدها ، القاسمي، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل، (٤٠٣٠/١٠) .

١١٣. اختلفت أقوال المفسرين في وصف الكهف ووضع الشمس،وأحوالهم أثناء النوم، والأولى السكوت عما سكت عنه القرآن الكريم، والتصديق أن ما حصل لأولئك الفتية المؤمنين في الكهف هو من آيات الله العظيمة الدالة على صدقهم .

١١٤. تفسير الطبري، (٢٤٦/١٥) .

١١٥. تفسير ابن كثير، (١٤٣/٥) .

١١٦. تفسير ابن عاشور، (٢٨٠/١٥) .

١١٧. الأصفهاني، المفردات، ص٥٤٧ .

١١٨. انظر: تفسير الزمخشري، ص٩٥٥ .

١١٩. تفسير ابن كثير، (١٤٢/٧) .

١٢٠. تفسير الزمخشري، ص٤٩٧ .

١٢١. أخرجه البخاري في صحيحه،ح(٧٧٣)، صحيح مسلم، (٤٤٩)، الإمام أحمد في المسند، (٢٥٢/١)، وتفسير الطبري، (١٢٢/٢٩) ، اختلفت الروايات في ذكر هذه القصة، المراد: العبرة المستخلصة والفائدة التي دلت عليها الآيات الكريمة ،والله أعلم.

١٢٢. انظر: تفسير الشنقيطي ،وتتمته لتلميذه:عطية محمد سالم، (٤٧٦/٥) .

١٢٣. تفسير ابن كثير، (٢٤٠/٨) .

١٢٤. تفسير القرطبي، (١٦/١٩) .

١٢٥. تفسير القرطبي، (١٨/١٩) .

١٢٦. انظر: تفسير الطبري، (١٣٥/٢٩) .

١٢٧. قطب، سيد ، في ظلال القرآن، (٣٧٢٢/٦).

المراجع :

١. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق وتنسيق: عبدالرزاق بن غالب المهدي- الطبعة الأولى- بيروت :دار الكتب العلمية ،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، إشراف وتصحيح :علي بن محمد الضباع - الطبعة الأولى- بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣. الترمذي،أبو عيسى ،جامع الترمذي ،تخريج الأحاديث : الشيخ الألباني ،إعداد : فريق بيت الأفكار الدولية،بيت الأفكار الدولية :عمان ،بدون تاريخ النشر .

٤. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية: بيروت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.

٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ،سير أعلام النبلاء ،أشرف على تحقيقه :شعيب الأرناؤوط –الطبعة السابعة مؤسسة الرسالة :بيروت ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب – الطبعة الأولى- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

٧. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني- بيروت: دار الكتاب العربي – بدون تاريخ النشر- .

٨. الزجاج،أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق : د/عبدالجليل شلبي،- الطبعة الأولى- عالم الكتب : بيروت ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٩. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،– بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ النشر .

١٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني،سنن أبي داود ، حمص.: سوريا: دار الحديث- الطبعة الأولى- بدون تاريخ النشر.

١١. أبو شهبة، محمد محمد ،الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، –الطبعة الرابعة- مكتبة السنة : القاهرة ، ١٤٠٨هـ .

١٢. الأندلسي، أبو حيان،محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود،و علي معوض، وشارك في التحقيق : د. زكريا النوتي،و د.أحمد الجمل، قرظه : د.عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٣. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: مجموعة من المحققين ، - الطبعة الأولى- بيروت : مؤسسة الرسالة ،١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٤. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق الأندلسي،المحرر الوجيز ، تحقيق: مجموعة من المحققين - الطبعة الأولى- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.- بدون تاريخ النشر.
١٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،معجم مقاييس اللغة، ،وضع حواشيه:إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية:بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
١٦. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر،زاد المعاد في هدي خير العباد ، حقق نصوصه وعلق عليه : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط –الطبعة الثالثة- مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
١٧. ابن قيم الجوزية،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية،جمعه ودَرَسَ أحاديثه: يسري السيد محمد- الطبعة الأولى- الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٨. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ .
١٩. ابن ماجه ،أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ،سنن ابن ماجة، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٢٠. ابن منظور، لسان العرب ،تنسيق وتعليق : علي شيري –الطبعة الثانية- بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
٢١. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية،سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة- الرياض:دار طيبة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢٢. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ،تحقيق : أبو عبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش –الطبعة الأولى – دار المعرفة : بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
٢٣. الحسين، عبداللطيف بن إبراهيم ،الأمانة في الإسلام وآثارها على المجتمع،رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية –كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٢٤هـ. دار ابن الجوزي: الدمام الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٢٤. الزركشي،بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم صيدا : المكتبة العصرية، بدون تاريخ النشر.
٢٥. السبت، خالد بن عثمان ،قواعد التفسير(جمعا ودراسة) ،- الطبعة الأولى- دار ابن عفان: الخبر،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢٦. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان –الطبعة الأولى- عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ .
٢٧. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الثالثة- مكتبة دار التراث –القاهرة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٨. لباب النقول في أسباب النزول ، اعتنى به : عبدالمجيد طعمة حلبي، الطبعة الثانية- دار المعرفة : بيروت ،١٤١٩هـ.
٢٩. الشنقيطي ،محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن ، وتتمته لتلميذه: عطية محمد سالم،الطبعة الأولى- دار إحياء التراث العربي: بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٣٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د.عبالدرحمن عميرة،- الطبعة الثانية- دار الخاني: الرياض – دار الوفاء: المنصورة،١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
٣١. الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر –الطبعة الأولى- بيروت:دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٣٢. عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة،١٤٠٤هـ..
٣٣. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر،الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ، دار الكتب العلمية : بيروت –بدون تاريخ النشر.
٣٤. تقريب التهذيب ، عناية:عادل مرشد- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٣٥. العجاب في بيان الأسباب، تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس ، - الطبعة الأولى- دار ابن الجوزي : الدمام ،١٤١٨هـ.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح وتحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، طبعة : دار الفكر.- بدون تاريخ النشر.
٣٧. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى،مطبعة حجازي: القاهرة- بدون بيانات-
٣٨. الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق : محمد علي النجار - القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
٣٩. القاموس المحيط، تحقيق : مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى- بيروت : مؤسسة الرسالة،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
٤٠. القاسمي ، جمال الدين، محاسن التأويل ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية –بدون تاريخ النشر- .
٤١. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق:عبدالرزاق المهدي،الطبعة الأولى،بيروت:دار الكتاب العربي،١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
٤٢. قطب، سيد، في ظلال القرآن - الطبعة الثانية عشرة- جدة : دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .
٤٣. مجموعة من الباحثين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف: د.صالح بن عبدالله بن حميد، وعبالرحمن بن ملوح- الطبعة الثانية- دار الوسيلة: جدة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٤٤. محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير، –بدون بيانات-
٤٥. محمد رشيد رضا،تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ،- الطبعة الثانية- بيروت : دار المعرفة –بدون تاريخ النشر .
٤٦. محمد عبدالرحيم ،تفسير الحسن البصري ((جمع وتوثيق ودراسة)) ،بدون طبعة ،دار الحديث : القاهرة ،بدون تاريخ النشر.
٤٧. مقاتل بن سليمان البلخي ، تفسير مقاتل، تحقيق: د/عبدالله بن محمود شحلتة ،- بدون طبعة- الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ،١٩٧٩م.
٤٨. موسوعة الكتب الستة ،إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ –الطبعة الأولى- دار السلام:الرياض،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٤٩. النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي،سنن النسائي ، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٠. النووي، محيي الدين أبو زكريا ،شرح صحيح مسلم ،طبعة دار الفكر –بدون بيانات- .
٥١. الهاشمي، محمد بن أحمد بن أبي موسى، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد،تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٥٢. الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد –الطبعة الثالثة- دار الكتاب العربي :بيروت ،١٤٠٢هـ.
٥٣. الواحدي،أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري،أسباب النزول ، تعليق وتخريج: د/مصطفى ديب البغا –الطبعة الثالثة- دار ابن كثير : دمشق، ١٤١٧هـ.

The Exegesis of the Ayat on Guidance in the Stories of the Holy Quran

Huda Deligan Al-Deligan

College of Education, King Faisal University
Al-Hassa, Saudi Arabia

Abstract :
Guidance in Koranic stories encompasses nineteen Ayats. This research started with an introduction, followed by an initiative to determine the meaning of the term "Guidance" in the Arabic language, and in the holy Quran as mentioned by Muslim scholars.

Our study of the Ayats encompassed many subjects as outlined below:

- Firstly, we tackled the Ayahs on guidance as they related to prophet Muhammad Peace Be Upon Him. These Ayahs described the characteristics and the actions of those who chose guidance as their mission.
- Secondly, we undertook the Ayahs on guidance as mentioned in the prophetic stories. These stories described the calling for guidance, a path that many prophets, and messengers of Allah were pursuing as in the case of the prophets Ibrahem, and Moses to mention a few.
- Thirdly, we took on the concept of guidance in Ayahs related to the stories of the belivers as in :
    - Guidance in the stories related to the people of the cave.
    - Guidance in the stories related to the believers of the pharaohs.
    - Guidance in the stories of those from the jinn who believed in the prophecy of the prophet Muhammad PBUH

Finally, the paper concluded by listing the concepts, terms, sections, and findings of the current research.

As always, we ask Allah the almighty for His guidance.